أوندين : لم يضغط عليها بشدة أكثر من اللازم . ان قبضة أضعف امرأة تصبح كقشرة من رخام لتحمى طائرا حيا . لو كانت يدى هى التى تحوى هذا العصفور لكان فى استطاعة هرقلك يا صاحب السمو أن يضغط بكل قواه . ولكن برتا تعرف الرجال .
كان العصفور فى أمان فى يدها ولكنها سحقته .

الفارس : أنا الذى ضغطت بشدة أكثر من اللازم .

أوندين : هى التى قتلته !

الحاجب : يا صاحب السمو البارونات الأحرار وزوجاتهم ..

الملك : أوندين ايا كان هو أو هى ستقسمين لى أنك ستتركين منذ الآن برتا فى أمان ..

أوندين : اذا كنت تأمر بهذا ، فأنا أقسم لك .

الملك : أنا آمر به .

أوندين : اذن أقسم لك .. بشرط أن تسكت !

الملك : ولكن أنت التى تتكلمين ! ..

أوندين : انها تحدث نفسها . وأنا أسمع كل شىء .. اسكتى يا برتا !

الفـارس : اطلبى الصفح من برتا يا أوندين !

أوندين : شعرى ؟ ماذا يمكنها أن تقول عن شعرى ! افضل شعرى المنساب على ضفائرها التى تشبه الأفاعى . انظر اليها يا صاحب السمو ان بهـا حيات بدلا من الشعور !

الفـارس : اعتذرى ! ..

أوندين : ولكن ألا تسمعها ! ألا تسمعونها ! تقول انني بهذه الفضيحة أضيع نفسى بنفسى وأن أسبوعا من هذه التصرفات البلهاء سينزع منى زوجى ولن يبقى لى الا أن أنتظر حتى أموت من الحزن .. هذا ما تقوله برتا اللطيفة ، هذا هو ما تصرخ به أوه يا عزيزى هانز خـذنى بين ذراعيك أمامها حتى تذلها ..

الفـارس : لا تلمسينى .

أوندين : قبلنى أمامها ! لقد أعدت الحياة للعصفور . انه حى الآن فى قفصه .

برتا : يا لها من مجنونة !

أوندين : أنت قتلته ! وأنا أحييته ! .. من المجنونة منـا نحن الاثنين ، من المذنبة ؟

الملكة : أيتها الطفلة المسكينة !

أوندين : الا تسمعونه ؟ .. انه يغنى .

الملك : هل استعراضك الترفيهى على استعداد يا صاحب السعادة .
انا فى أشد الحاجة اليه .

أوندين : هل أنت حاقد على يا هانز العزيز ؟

الفارس : لست حاقدا عليك ولكنك كسيتنى بالعار . لقد جعلت منا اضحوكة البلاط .

أوندين : فلنغادر هذا المكان . الملك هو الشخص الوحيد الطيب هنا والملكة هى الجميلة الوحيدة .. فلنرحل ..

الحاجب : (وقد أعطاه الساحر اشارة) .
ذراعك للكونتيسة برتا أيها الفارس .

أوندين : ذراعه لبرتا . لن يحدث هذا أبدا ..

الحاجب : انه البروتوكول يا سيدتى .

الفارس : اعطنى يدك يا برتا ..

أوندين : يدها ، أبدا ! على العموم ستعرف يا هانز . اسمع من تكون برتا .. أنتم جميعا ، انتظروا ، اسمعوا ، اسمعوا من تكون الكونتسه برتا وما يستوجبه نحوها البروتوكول !

الفـارس : أوندين هذا كثير ..

الملكة : دعونى أريد أن أتحدث الى هذه الطفلة ..

أوندين : أوه نعم ، عندى سر أريد أن أقوله الى الملكة !

الملك : فكرة صائبة يا ايزولت .

أوندين : ايزولت ! أيها الملك هل زوجتـك هى الملكة ايزولت ؟

الملك : ألم تكونى تعلمين ؟

أوندين : وتريستان ؟ أين هو تريستان ؟

الملك : لا أرى العلاقة يا أوندين . ، هدئيها يا عزيزتى ، ايزولت . (الجميـع يخرجون ما عدا الملكة وأوندين) .

المنظر الحادى عشر

ايزولت . أوندين

ايزولت : تدعين أوندين أليس كذلك ؟

أوندين : نعم وأنا احدى جنيات البحر .

ايزولت : كم تبلغين من العمر ؟ خمسة عشر عاما ؟

أوندين : خمسة عشر عاما . وأنا مولودة منذ قرون . ولن أموت أبدا ..

ايزولت : لماذا ضللت طريقك وجئت بيننا ؟ كيف استطاع عالمنا أن يعجبك ؟

أوندين : عبر شاطىء البحيرة المائل كان يبدو رائعا .

ايزولت : هل ما زال كذلك . منذ الوقت الذى تعيشين فيه جافة ؟

أوندين : هناك آلاف الوسائل لايجاد المياه أمام أعيننا .

ايزولت : آه فهمت ! حتى تبدو لك الحياة رائعة من جديد تفكرين فى موت هانز ؟ وحتى تبدو لك سيداتنا رائعات تظنين أنهن سيأخذن منك هانز ؟

أوندين : يردن أخذه منى أليس كذلك .

ايزولت : الأمر يبدو كذلك . ولكنك تعطينـــه أهميـــة كبرى .

أوندين : هذا هو سرى أيتها الملكة . ان سرى يكمن هنا . اذا أفلحن فى أخذه منى سوف يموت ! ان هذا فظيع !

الملكة : اطمئنى لسن بهذه القسوة .

أوندين : بلى ! بلى ! سوف يموت لأننى وافقت على أن يموت اذا خاننى .

ايزولت : ماذا تقولين ؟ هل هذه العقوبة عند جان البحر ؟

أوندين : أوه لا ! عند جان البحر لا توجد زوجات غير مخلصات الا عن طريق الخطأ أو التشابه الكبير أو لأن البحر كان هائجا . ولكن الجنيات تتفقن فيما بينهن على أن يظل الخائن غير المتعمد على جهله بالأمر .

ايزولت : وكيف يمكنهم أن يعرفوا أن هانز يستطيع أن يخونك ؟ كيف يمكنهم فهم كلمة الخيانة ؟

أوندين : لقد تعلموها فجأة . عندما رأوه . لم يتكلموا قط عن الخيانة . لم يتكلموا عنها أبدا قبل مجىء

هانز ولكنهم رأوا رجلا جميلا على حصان ، الاخلاص على وجهه والصدق فى فمه وعندئذ كلمة خيانة جرت حتى أعماق المياه ..

ايزولت : يا لهم من مساكين جان البحر !

أوندين : وعندئذ اخذ كل ما كان فى هانز يعطينى الثقة ، نظرته المستقيمة وكلامه الواضح كل هذا كان يبدو لهم كما لو كان نذيرا للمتاعب ، كما لو كان نفاقا . يجب أن نعتقد أن الفضيلة فى الرجال ما هى الا كذبة فظيعة . لقد قال لى أنه سيحبنى دائما ..

ايزولت : وكلمة يخون ولدت فى الأمواه .

أوندين : الأسماك أنفسها كانت تتهجاها . وفى كل مرة أخرج فيها من الكوخ لأقص عليهم غرام هانز وأهزأ بهم كان الجميع يصرخون فى وجهى بهذه الكلمة عن طريق الفقاعات أو عن طريق بعض الأصوات — وكنت أقول لهم أنه غاضب من أجل سمكته التى ألقيت بها . انه جائع ، وكانت اسماك البلطى تقول نعم انه يخونك لقد أخفيت لحم الخنزير وقالت الأسماك

الضغيره نعم انه يخونك — ها نحس لسمك الصغير .

ايزولت : ليست عندى أية فكرة .

أوندين : ذبابات صغيرة قذرة نعاس صغيرة قذرة ولكنه لم يلمسهن ولم يقبلهن . كنت فخورة به . وقد تحديتهن . وقلت لهن انه لن يخوننى أبدا . ولكنهن هزأن بى وعندئذ أخطأت وقبلت الشروط .

ايزولت : أية شروط ؟

أوندين : خالى قال لى — هل تسمحين لى بقتله اذا خانك ؟ لو أننى قلت لا لكان معنى ذلك اذلال هائل أمامهم . كان معناه تحقير هائل أمامهم . كان معناه أننى أحتقر نفسى ! فقلت نعم .

ايزولت : سوف ينسون . سوف يغيرون رأيهم .

أوندين : أوه ! لا تعتقدى هذا . فالوسط الذى يمكن فيه النسيان والذى يغيرون فيه الأراء والذى يتسم بالأنسانية — فى هذا العالم — كما تقولون صغير جدا . أما عندنا فالأمر كما هو عند المتوحشين وكما هو عند أوراق الدردار وكما هو عند الديدان لا يوجد عدول عن الأمر ولا تسامح .

ايزولت : ولكن أى سلطان لهم عليه ؟

أوندين : كل ما هو موج أى ماء يراقب هانز الآن . اذا اقترب من بئر يرتفع فجأة مستوى الماء فيه . اذا أمطرت السماء تتضاعف غزارة المطر عند السقوط عليه . انه ثائر . سترين ، عندما يمر بالقرب من نافورات الحديقة ترتفع المياه غاضبة نحو السماء .

ايزولت : هل تريدين نصيحتى يا صغيرتى العزيزة أوندين ؟

أوندين : نعم أنا أوندين الجنية .

ايزولت : يمكنك الاستماع الى . انك فى الخامسة عشر من عمرك .

أوندين : سيكون عمرى خمسة عشر عاما بعد شهر .
وقد ولدت منذ قرون ولن أموت أبدا .

ايزولت : لماذا اخترت هانز ؟

أوندين : لم أكن أعرف أنهم يختاروا عند بنى البشر .
عندنا لا يختارون وانما تختارنا عواطف كبيرة .
وأول من يأتى من جان البحر يظل هو الوحيد
الى الأبد . هانز هو أول رجل رأيته . لا أستطيع
أن أختار أكثر من ذلك .

ايزولت : أوندين اختفى ! اذهبى الى حالك !

أوندين : مع هانز ؟

ايزولت : اذا أردت ألا تتألمى ، اذا أردت أن تنقذى هانز ،
القى بنفسك فى أول نبع للماء يقابلك ..
اذهبى !

أوندين : مع هانز ؟ انه قبيح جدا فى الماء !

ايزولت : لقد أمضيت مع هانز ثلاثة أشهر من السعادة .
يجب أن تقنعى بذلك . ارحلى قبل فوات
الأوان .

أوندين : أترك هانز ؟ لماذا ؟

ايزولت : لأنه لم يخلق لك . لأن روحه صغيرة .

اوندين : أنا ليس لى روح . هذا أسوأ!

ايزولت : الموضوع لا يخصك ولا يخص أى مخلوق غير آدمى .

الانسان فتت بغباء الروح العامة
لا توجد روح عند بنى الانسان وانما مجموعة
من أجزاء صغيرة من الروح حيث تنمو أزهار
ضئيلة وخضروات ضئيلة . أرواح الانسان
بالفصول الكاملة ، بالرياح لكاملة بالحب
الكامل هذا ما كان يلائمك وهذا نادر جد

اوندين : كان لدينا واحدا من تلك الأرواح ! كان
لا يعوم الا على ظهره ليرى السماء ! وكان
يأخذ بين زعانفه جماجم لجنيات البحر ويتأملها .
وكان يلزمه احد عشر يوما من الخلوة والعناق

قبل ممارسة الحب . لقد مللناه جميعا حتى المسنات منا كن يتحاشينه لا ، الرجل الوحيد الذى يستحق الحب هو الذى يشبه جميع الرجال والذى له لغة وملامح جميع الرجال . الذى لا نميزه عن الآخرين الا بأخطائه وسرعة تصرفه ..

ايزولت : انه هانز .

اوندين : انه هانز .

ايزولت : ولكن ألا ترين أن كل ما هو كبير عندك لم يحببه هانز الا لأنه يراه صغيرا . أنت النور وقد أحب شقراء . أنت الرشاقة وقد أحب شقية أنت المغامرة عامة وقد أحب مغامرة واحدة .. بمجرد أن يشك فى خطئه ستفقدينه ..

اوندين : لن يراه . لو كان برترام ، برترام كان يراه . ولكانت نفسى حدثتنى بالخطر . من بين جميع الفرسان اخترت أكثرهم غباء ..لن يعرف

ايزولت : أغبى الرجال يرى دائما بوضوح كاف ليصبح أعمى .

اوندين : اذا كان الرجال لا يعـرفون كيف يتحملون الحقيقة سأكذب !

ايزولت : سواء أكنت تبحثين عن الحقيقة أو الكذب يا صغيرتى العزيزة لن تخدعى أحدا وستقدمين للرجال أبغض الأشياء اليهم .

اوندين : ألاخلاص ؟

ايزولت : لا . بل الشفافية . انهم يخافونها . تبدو لهم وكأنها أبشع سر . بمجرد أن يلاحظ هانز أنك لست بقايا الذكريات وأنك لست أكواما من المشروعات وأكداسـا من المشـاعر والارادة سيشعر بالخوف وسيكون فى هذا ضياعك . صدقينى اذهبى ، انقذيه !

اوندين : أيتها الملكة ، ذلك أننى لن أنقذه بذهابى . اذا عدت الى عالم الجان . سيتسابقون من حولى وقد جذبتهم الرائحة الآدمية وسيطالبنى خالى

بالزواج من أحد الجان . سأرفض وفى فورة
غضبه سيقتل هانز .. يجب أن أنقذ هانز وهو
على الأرض . لا ! يجب أن أجد على الأرض
الوسيلة التى بها أخفى عن خالى أنه يخوننى ،
اذا جاء اليوم الذى يكف فيه عن حبى . ولكنه
ما زال يحبنى أليس كذلك ؟

ايزولت : بدون أدنى شك . بكل قواه !

أوندين : اذن فيم البحث أيتها الملكة ! ان العلاج بأيدينا !
لقد جاءتنى الفكرة منذ لحظة أثناء المشاجرة .
فى كل مرة حاولت فيها أن أبعد هانز عن برتا
لم أستطع الا أن أدفعه نحوها . بمجرد أن أسىء
القول فى برتا يأخذ صفها .. سأتصرف بالعكس !
سأقول له عشرين مرة فى اليوم انها جميلة ،
وانها على حق . عندئذ ستفقد أهميتها عنده
وستكون هى المخطئة . سأعمل على أن يقابلها
كل يوم ، لتكون أكثر الأشياء اشراقا فى الشمس
وفى زى البلاط . عندئذ لن يرى الاى . عندى
بالفعل مشروع وهو أن تأتى برتا لتسكن معنا
فى قصر هانز .. وهكذا يقضون كل حياتهم معا ؟
وسيكون هذا كما لو كانت بعيدة . سأتعلل
بمختلف الأعذار لأتركهما بمفردهما ، فى النزهة
وفى أثناء الصيد سيكون هذا كما لو كانوا بين

مجموعة من الناس . سيقرآن معا مخطوطاتهما - جنبا لجنب ، سيتأملها وهى ترسم حروفهــــا وجها لوجه ، وسيتقاربان ويتلامسان وعندئذ سيشعران أنهما مفترقان ولن تكون عندهما أية رغبة . وعندئذ سأكون كل شيء بالنسبة لهانز .. كم أفهم الرجال : أليس كذلك ! .. هذا هو علاجى ..

(ايزولت تقوم وتأتى لتقبلها)

أوه أيتها الملكة ايزولت ماذا تفعلين !

ايزولت : ايزولت تقول لك شكرا .

أوندين : شكرا ؟

ايزولت : شكرا على درس الحب .. فلتحكم السماء . ويأخذ مجراه العلاج الذى وجدته أوندين ..

أوندين : نعم أنا أوندين جنية البحر .

ايزولت : وسحر الخمسة عشر عاما ..

أوندين : خمسة عشر عاما بعد شهر وقد ولدت منذ قرون ولن أموت أبدا ..

الملكة : ها هم ..

أوندين : يا للسعادة ! سأستطيع أن أطلب الصفح من برتا !

المنظر الثانى عشر

نفس الأشخاص . الملك . جميع الحاضرين

أوندين : آسفة يا برتا !

الملك : أحسنت يا صغيرتى ..

أوندين : كنت على حق ولكن بما أنه لا يطلب الصفح الا المخطىء اذن فأنا مخطئة . برتا . انى آسفة .

الفارس : أحسنت يا عزيزتى أوندين ..

(فى هذه اللحظة يظهر الساحر وتراه أوندين)

أوندين : أحسنت .. ولكنها تستطيع أن تجيبنى ! ..

الفارس : كيف ؟

أوندين : أنا هنا أنحنى أمامها أنا التى أعلى منها بكثير ، ذليلة أمامها أنا التى أشعر بعزة النفس تملؤنى حتى أكاد أظن أننى حامل ، ولا تتنازل حتى لترد على !

برترام : هذا صحيح ، برتا كان يمكنها أن ترد عليها ..

أوندين : أليس كذلك يا برترام !

الفـارس : لا تتدخل فيما لا يعنيك ..

اوندين : بل يتدخل . اننى أعنى الكثير له .

الفـارس : سنرى هذا حالا يا برترام !

الملك : برتا ، هذه الطفلة تعترف بأخطائها . لا تطيلى فى هذه الحادثة المؤلمة لكل واحد منا .

برتا : حسن . اننى أصفح عنها .

اوندين : شكراً يا برتا .

برتا : بشرط أن تحمل ذيل ثوبى فى الاحتفالات .

اوندين : نعم يا برتا .

برتا : ذيل ثوبى ذو الاثنى عشر قدما .

اوندين : كلما زاد عدد الأقدام التى يفصلنى عنك زادت سعادتى يا برتا .

برتا : وبشرط ألا تنادينى برتا بعد الآن بل يا صاحبة السـمو .

الملك : انك مخطئة يا برتا .

برتا : وبشرط أن تقول علنا أمام الجميع أننى لم أقتل العصفور .

اوندين : سأقوله . ستكون كذبة .

برتا : هل ترى يا والدى ، أية صفاقة !

الملك : لن تبدأ من جديد ! ..

أوندين : صاحبة السمو برتا لم تقتل العصفور . هانز لم يمسك بيدها .. ربما أن هانز لم يمسك بيدها اذن فهو لم يضغط عليها .

برتا : انها تهينني !

أوندين : صاحبة السمو برتا لا تمضى أوقاتها فى فقأ عيون عصافيرها حتى تغنى ! وفى الصباح عندما تقفز صاحبة السمو برتا من السرير لا تضع أقدامها فوق سجادة مصنوعة من مائة ألف عصفورة ميتــة .

برتا : هل تتحمل يا والدى أن ترانى أسب هكذا أمامك !

الملك : لماذا تثيرنها ؟

الفــارس : انك توجهين كلامك الى الابنة التى تبناها الملك يا أوندين ! ..

أوندين : الى ابنة الملك ! هل تريد أن تعرف من هى ابنة الملك ! هل تريدون أن تعرفوا انتم جميعــا يا من ترتعدون أمامها !

الفـارس : أوه يا أوندين انك تذكريننى بدناءة النسب ويا لها من خطيئة .

أوندين : دناءة النسب يا عزيزى الأعمى ! هل تريد أن تعرف من أية ناحية يأتى النسب الوضيع . هل تعتقد أن برتا ولدت من أبطالكم ! انتى أعرف والديها ! انهما صيادان على البحيرة . لا يسميان بارســـيفال ولاكودرون بل يسميان أوجست وأوچينى .

برتا : هانز أسكتها والا لن أراك طول حياتى ! ..

أوندين : أنت هنا يا خالى ! النجدة !

الفارس يريد أن يسحبها بالقوة : اتبعينى !

أوندين : اظهر لهم الحقيقة يا خالى ! أوجد وسيلة لتظهر لهم الحقيقة ! استمع الى هذه المرة فقط . النجدة ! ..

تطفأ الأنوار فجأة بينما يعلن الحاجب :

الحــاجب : يا صاحب الســـمو ، اليكم هــذا المشـــهد التمثيلى ..

المنظر الثالث عشر

يصور قاع المسرح شاطىء البحيرة وكوخ أوجست . ملك جان البحر يتأمل فى مهد من الخوض طفلة صغيرة تحملها اليه جنيات البحر . ممثل وممثلة فى زى سلامبو وماتو يتدافعان من جانبى المسرح ..

الساحر : من هما هذان الشخصان ؟ ليس لهما عمل هنا .

الحاجب : أنهما المغنيان فى مسرحية سلامبو . استحال علينا منعهما .

الساحر : أسكتهما .

الحاجب : اسكات المغنيين فى سرحية سلامبو ؟ هذا هو العمل الثامن لهرقل .

منظر العرض

احدى جنيات البحر تنظر الى الطفلة الصغيرة .

ها هى ؟ ماذا يجب أن نفعل بها ؟

ملك جان البحر .

اتركوا لها صليب أمها ..

(ماتو وهو يغنى) .

يا ملك الموج ، لقد عضتنى ! ..

ملك جان البحر

أعيدوا لهـا شخشيختها التى صـنعها لهـا
أوجست من قواقع البحر .

سلامبو تغنى

يا لها من شيطانة ! انها تخربشنى !

ملك جان البحر

اتركوا عليها كل علامة تكشف الستار ، عن سر
ولادتها عندما أريد .

سلامبو تغنى

هل صحيح أن أحد الأمراء سيعثر على هذه

السلة بين أعواد البوص ويجعل منها مهدا فى
قصر اللوفر ؟

ملك جان البحر .

نعم بالنسبة لنا سكان الماء هذه فتاة روحها تافهة
أنك تفقدين من الكرامة الانسانية وتتحولين من
صيادة الى ملكة ولربما وجدت فى ذلك
السعادة ..

جميع الجنيات .

يغرق الشرير فى غروره .

ملك الجان .

ولكن اذا حدث فى يوم رخى أو جاف أن سببت
الفشل لجان البحر ..

سلامبو وهى تغنى .

خذنى وخذ قرطاجنه معى !

ملك الجان .

نيكول Nicole ، برتيل Berthilde
اسكلارمون Esclamonde أيا كان اسمك
فى هذا العالم العلوى .
فسيشهد الصليب والشخشيخة على أصلك
الوضيع .

ماتو يغنى .

ها أنت عارية ! آه ما أجمل جبهتك !

احدى الجنيات .

ولكن الصليب سريعا ما يتحطم ..

احدى الجنيات .

والعاج يغرى السارق ..

سلامبو تغنى .

الليل بارد . وهذا يدهشنى .

ماتو وهو يغنى .

ضعى هذا الشال على كتفيك .

ملك الجان

ولذلك يا فتياتى الجنيات .

على أكتافها الصبية .

بسبابتى التى تختم كالقطران .

سأرسم السمكة والصليب .

سلامبو تغنى

أخيرا حصلت عليه !

ماتو وهو يغنى

من . أنا ؟

سلامبو تغنى

وأضيف بوضوح الحروف الأولى من أسماء الوالدين حتى لا تنكرى بأية حال لبن أمك أوچينى ! ..

قومى يا برتا اذا كانت عندك الجرأة واكشفى عن عنقك الوردى !

(يضىء النور . ذهول فى القاعه . تقوم برتا)

اوندين : هيا اجرؤى على ذلك يا برتا !

برتا : بل أجرؤى عليه أنت .

اوندين : هو ذا !

تمزق غطاء برتا . على كتف برتا تظهـر الاشارات .

سلامبو وماتو .

اوندين : هل هم حاضرون هنا يا خالى ؟

الساحر : انهم آتون .

يدخل أوجست وأوچينى الى القاعة ويندفعان نحو برتا .

اوجست : ابنتى ! ابنتى العزيزة !

برتا : لا تلمسنى يا هذا ! تفوح منك رائحة السمك ! جميع الجنيات فى عتاب : أوه ! أوه !

اوجينى : طفلتى ! .. كم طلبت من الله !

برتا : يا الهى اننى أطلب منك على الأقل أن تجعلنى يتيمة !

الملك : عار عليك أيتها الفتاة ! اذن فحبك لى كان من أجل عرش . ما أنت الا محدثة وناكرة للجميل . اطلبى الصفح من والديك ومن أوندين .

برتا : مستحيل !

الملك : افعلى ما تشائين ولكن اذا لم تطيعينى سأبعدك عن المدينة وستنهين حياتك فى الدير .

برتا : لقد انتهت حياتى ..

الجميع يخرجون ما عدا أوندين ، برتا والفارس .

المنظر الرابع عشر

برتا ، أوندين ، الفارس

أوجست واوجينى يقفان فى أقصى القاعة . تيجان من الذهب تبدو وكأنها موضوعة على رؤوسهم عندما تتحدث أوندين عن عظمتهم وتصفهم كما لو كانوا ملوكا .

أوندين : عفو يا برتا !

برتا : اتركينى ..

أوندين : لا تجيبينى الآن ، لم أعد فى حاجة الى جواب .

برتا : الشفقة أقسى على من الجبن .

الفارس : لن نتركك يا برتا !

أوندين : سأركع أمامك يا برتا ! لقد ولدت من صياد !

الفارس : ماذا ستفعلين الآن يا برتا ؟

برتا : فعلت دائما ما أملته على ظروفى ..

أوندين : كم أحسدك ! ستفعلين ما تفعله بنات الصيادين !

الفارس : لا تلحى فى هذا يا أوندين .

أوندين : سألح يا هانز . يجب أن تفهم برتا من هى . كما يجب أن تفهم أنت كذلك . أوجست ملك

عظيم فى مملكة عظيمة . عندما يقطب أوجست حاجبيه ترتعد ملايين الأسماك .

الفارس : أين تذهبين يا برتا ؟

برتا : أين أستطيع الذهاب ؟ الجميع يولون عنى .

أوندين : تعالى معنا . هل تستضيف شقيقتى يا هانز ؟ لأن برتا هى أختى الاكبر . ارفعى رأسك يا برتا . لقد ورثت وقارك من أوجينى . أوجينى ملكة عندنا . تقول الأسماك نبيلة مثل أوجينى .

الفارس : لا نريد بعد الآن أن نعيش فى البلاط يا برتا . أوندين على حق تعالى منذ الليلة معنا .

أوندين : اصفحى عنى يا برتا . اغفرى لى ساعات غضبى . اننى أنسى دائما أنه بالنسبة للبشر ما حدث لهم لا يمكن أن يصبح كما لو لم يكن حدث . ما أصعب الحياة عندكم بهذه الكلمات التى لم ينطق بها الا مرة واحدة والتى مع ذلك لا يمكن تداركها . هذه الأفعال التى حدثت وأصبحت خالدة . كم تكون الفائدة عظيمة لو أن كلمات الكراهية من الغير تنقش عندنا كما لو كانت كلمات حب ! .. هذا ما يحدث لى فى كل ما يخصكم ..

الحاجب وقد مد رأسه الى الداخل : يريد الملك أن يعرف ما اذا كان الاعتذار قد طلب أم لا .

أوندين : نعم ، وهى راكعة .

الفارس : تعالى يا برتا . ان قصرى واسع . ستعيشين فيه كما يروق لك ، بمفردك اذا أردت أن تعيشى وحيدة فى الجناح الذى يطل على البحيرة .

أوندين : آه ! هل توجد بحيرة بالقرب من قصرك ؟ اذن برتا تأخذ الجناح الآخر .

الفارس : الجناح الذى يطل على نهر الرين ؟ كما تريد .

أوندين : نهر الرين ؟ الرين أيضا يمر بمحازاة قصرك .

الفارس : من ناحية الشرق فقط . فى الجنوب توجد الشلالات . تعالى يا برتا .

أوندين : أوه يا هانز ، ألا تملك قصرا يطل على المراعى من غير بحيرات ولا ينابيع ؟

الفارس : هيا يا برتا ، سألحق بك .

الفارس يأتى نحو أوندين .

الفارس : لماذا هذا الخوف من المياه ؟ ما الذى بينك وبين الماء ؟

أوندين : بين الماء وبينى ، لا شىء .

الفارس : اذا كنت تعتقدين أننى لا أراك . انك لا تتركيننى أبدا لأقترب من أى نهر . وتضعين نفسك بين البحر وبينى . واذا جلست على سور أحد الآبار تسحبيننى بعيدا .

أوندين : احذر المياه يا هانز .

الفارس : نعم ، قصرى يقع بين الأمواه ، وسآخذ فى الصباح حمامى تحت الشلالات وسأصطاد عند الظهيرة على بحيرتى وفى المساء سوف أغطس فى الرين . اننى أعرف مكان كل دوامة وكل هوه . اذا كانت المياه تعتقد أنها تستطيع أن تخيفنى فهى مخطئة فى هذا . المياه لا تعى شيئا . المياه لا تسمع شيئا !

يخرج . كل نافورات المياه حول القاعة ترتفع فجأة .

أوندين : لقد سمعته .

(تتبعه)

الحاجب : آه لقد أجدت ! اننى أتوق لمعرفة الخاتمة . الى متى البقية ؟

الساحر : الساعة اذا أردت .

الحاجب : ولكن ما هذا الوجه ؟ ان بى تجاعيد الآن ! لقد أصبحت أصلعا .

الساحر : هذه ارادتك . فى ساعة واحدة مرت عشرة سنوات .

الحاجب : عندى طقم أسنان ؟ اننى أتمتم ؟

الساحر : أيجب أن أستمر يا صاحب السعادة ؟

الحاجب : لا لا ! استراحة ! استراحة !

ستار ..

الفصل الثالث

فناء القصر . ساعة الصباح فى يوم زواج برتا والفارس

المنظر الاول

برتا . هانز . خدم

أحد الخدم : لقد اتخذ الكورال مكانه بين الكورس .

هـــانز : ماذا تقول ؟

أحد الخدم : يتحدث عن المغنين الذين سيحيون حفلة زفافك .

هـــانز : وأنت ألا يمكنك أن تتكلم بطريقة أخرى ؟
ألا يمكنك التحدث بلغة أبسط من هذه ؟

أحد الخدم : حياة مديدة لبرتا ! فلتحيا العروس !

هـــانز : أغرب عن وجهى ! ..

برتا : لم هذا الغضب يا هانز فى يوم كهذا ؟

هـــانز : كيف ؟ أنت أيضا !

برتا : سأصبح زوجتك ، ويتجهم وجهك هكذا !

هـــانز : أنت أيضا ! تتكلمين مثلهم !

برتا : ما الذى أساءك الى هذا الحد من أقوالهم ؟ كانوا مبتهجين لسعادتنا .

هانز : كررى جملتك .. بسرعة ! بسرعة ! دون أن تغيرى منها حرفا واحدا ! ..

برتا : ما الذى أساءك الى هذا الحد من أقوالهم ؟ كانوا مبتهجين لسعادتنا .

هانز : أخيرا ! شكرا !

برتا : انك تخيفنى يا هانز « منذ بضعة أيام وأنت تخيفنى ..

هانز : أنت التى تعرفين كل شىء عن آل ويتنشتين ، اعلمى أيضا هذا : اليوم الذى لابد أن تزورهم فيه المصائب » يتكلم الخدم بدون مقدمات لغة مبجلة . تصبح جملهم موزونة وكلماتهم نبيلة . كل ما يحتفظ به الشعراء لأنفسهم فى هذا العالم ينتقل فجأة الى الغسالات والى السواس . يرى بسطاء القوم فجأة ما لم يكونوا ليروه أبدا منحنيات الأنهار ، مسدس الزوايا لأقراص العسل ، يفكرون فى الطبيعة ، يفكرون فى الروح .. وفى المساء يحل البلاء .

برتا : جملهم لم تكن أبياتا من الشعر . لم تكن لها قافيـة .

هانز : عندما يسمع آل ويتنشتين واحدا منهم يتكلم بالشعر أو ينشد قصيدة فهذا معناه أن الموت متربص له .

برتا : أوه يا هانز ، هذا لأنه فى المناسبات الكبيرة تسمو آذان آل ويتنشتين بالأصوات . ولكن لابد وأن هذا يسرى على الأعياد كما يسرى على الحداد !

هانز : حتى راعى الخنازير ، هكذا يقولون . سنرى هذا (الى أحد الخدم) هل تعرف يا أنت أين راعى الخنازير ؟

احد الخدم : فوق رابيه السمار ..

هانز : اقفل فمك .. اذهب واحضر لى راعى الخنازير ..

الخادم : تحت أشجار الطلح ..

هانز : وأسرع !

برتا : أوه يا هانز ، اننى أشكر الخادمات اللائى تركن لى فى هذا الصباح كل كلماتهن المتواضعة

ليقلن لك اننى أحبك . اننى بين ذراعيك . هانز لماذا هــذا الوجه المتجهم ؟ مالذى ينقصك فى هذا اليوم ؟

هـــانز : أن أنتقم لنفسى ، أن أرغمها أمام المدينة مجتمعة على الاعتراف بحالتها وبجريمتها .

برتا : منذ ستة شهور اختفت أوندين . ألم تستطع أن تنســاها ؟ على أية حال فاليــوم هو يوم النسيان !

هـــانز : لكم كذبت على !

برتا : لم تكذب عليك . أى شخص سواك كان ليخمن أنها ليست منا . هل اشتكت مرة ؟ هل قالت مرة واحدة لا لارادتك ؟ هل رأيتها أبدا غاضبة أو مريضة أو آمرة ! بم اذن يمكنك التعرف على النساء الحقيقيات !

هـــانز : بخياناتهن .. لقد خانتنى .

برتا : أنت وحدك لم تكن ترى . أنت وحدك لم تلحظ أنها لم تستعمل قط لفظ امرأة . هل سمعتها

قط تقول : لا يقولون هذا لامرأة . لا يفعلون هذا لامرأة ؟ كلا .. كل شيء فيها كان يقول : لا يقولون هذا لجنية ، لا يفعلون هذا لجنية .

هـانز : أن أنسى أوندين ، هل ستسمح لى بهـذا ! هذا الصوت الذى استيقظت عليه فى صباح يوم هروبها : لقد خنتك مع برترام ! .. ألم يعلو كل صباح من النهر ومن الينابيع والآبار . ألم يدوى به القصر والمدينة بما فيها من نافورات وقنوات فى كل ساعة ألم تصرخ به الجنية الخشبية التى فى ساعة الحائط مع كل ظهر ؟ لماذا تتحمس لتعلن على الملأ انها خانتنى مع برترام ! ..

الصدى : مع برترام !

برتا : فلنكن أمناء يا هانز . كنا قد خناها بالفعل . ربما كانت قد فاجأتنا ونحن نخونها وانتقمت لنفسها .

هـانز : أين هى ؟ ماذا تفعل ؟ جميع الصيادين يطاردونها بلا جدوى منذ ستة شهور . ومع هذا فهى ليست بعيدة فقد وجدوا عند الفجر على باب المعبد

هذه الصحبة من نجوم البحر والرتسه .. هى
وحدها التى يمكنها أن تتركها بقصد السخرية
منـا ..

برتا : يكفى أن يكتشف أمرهن مرة لتختنفين أو تعدن
لتغطسن .. أعتقد أن التعبير يلائم جنيات البحر
أيضا .. لقد غطست .

هـانز : لقد خنتك مع برترام ! .. من الذى تكلم ؟

الصدى : مع برترام !

برتا : أوه يا هانز ، اننا ندفع ثمن غلطتك . ما الذى
أمكنه أن يغريك فى هذه الفتاة ! من الذى
أمكنه أن يقنعك أنك ولدت للمغامرات ! أنت ،
صياد جنيات ! اننى أعرفك . اذا كنت تريد
أن تكون صريحا مع نفسك ، أعترف أن الذى
جعل قلبك يدق بشدة فى الغابات المسكونة
بالجان هو عثورك على كوخ مهجور لبعض
الحطابين ودخولك فيه بعد أن أحنيت رأسك
ثم عندما وجدت فيه رائحة الأثاث العطنه وبعض
قطع الفحم التى لم تخمد بعد حيث يمكنك أن

تشوى طيرا مما اصطدته وأن تشعل غليونك ..
وانا اتخيلك وانت داخل هذه القصور التى يقال انها للسحرة ..
اننى متأكدة من انك كنت تطيل فى فتح الدواليب ثم تنزل الملابس من على المشاجب وتتزين بأغطية الرأس القديمة .. كنت تعتقد انك تبحث عن الأرواح ولكنك لم تتبع أبدا الا الدرب الآدمى ..

هانز : لقد أسأت تتبعه .

برتا : لقد اضعته ولكنك عدت فوجدته . فى هذه الليلة من ليالى الشتاء عندما قلت لى انك ما زلت تحبنى وعندما هربت ، وجدته خلف القرية عندما رأيت خطواتى على الجليد . كانت واسعة وعميقة ، كانت دلالة على كل تعبى ويأسى وحبى . لم تكن هذه آثار أوندين التى تكاد لا ترى والتى لا يراها حتى كلابك . والتى تظل على الأرض الصلبة كما لو كانت خطوطا تركها القارب خلفه فى الماء . كانت خطوات امرأة تحمل فى جوفها الحياة البشرية امرأة تحمل ابنك المقبل كانت خطوات زوجتك ! ولم تكن

هناك آثار لخطوات فى العودة فقد حملتنى بين ذراعيك .

هـــانز : نعم مثل برترام اذ لابد وانه اعادها محمولة بين ذراعيه .. ماذا تريد أنت أيضا ؟

احد الخدم : هذا هو راعى الخنازير الذى طلبته يا سيدى .

هـــانز : حسن ، اقترب ، كيف حال خنازيرك ؟

راعى الخنازير: مزمارى من الصفصاف ومطواتى من البقس !

هـــانز : أحدثك عن خنازيرك ، عن حلاليفك !

راعى الخنازير: تحت شجرة الطلح .

هـــانز : اخرس !

الخـــادم : خذ حذرك منه ! انه أصم !

راعى الخنازير: حيث تكون الظلال ..

هـــانز : ضع يدك على فمه !

الخـــادم : يتكلم داخـل يدى . يتحـدث عن مســدس الزوايا ..

هانز لخـــادم آخـــر : اسكت هذا أيضا ..

الخادم الثانى: (واضعا يده على فم الخادم الأول) : لا أعرف ماذا أصابهم ! فالجميع يتكلمون بالشعر !

هـــانز : اذهبـــوا واحضروا لى خـادمة المطبخ . ألا تسمعوننى ! سنرى ماذا تقول خادمة المطبخ !

المنظر الثانى

برتا ــ هانز ــ الصيادون

الصياد الأول: سيدى ! سيدى !

هــــانز : كرره أربعة مرات فيصبح بيتا من الشعر !

الصياد الثانى: لقد حصلنا عليها ! لقد امسكنا بها !

هــــانز : أوندين وقعت فى الشبك !

الصياد الأول: فى نهر الرين بينما كانت تغنى !

الصياد الثانى: أنها مثل الديوك البرية يمكن الاقتراب منهـا عندما تغنى !

هــــانز : هل انتم متأكدون انها هى ؟

الصياد الأول: متأكدون وواثقون . كانت ملقية شـعرها على وجهها ولكن كان صوتها رائعـا ، وبشرتهـا كالقطيفـة . انهـا تبهر من يراها : انهـا هى الوحش !

الصياد الثانى: والقضاه يصعدون معها .

برتا : أى قضاه ؟

الصياد الأول: قضاه الأسقفية والامبراطورية الذين يحكمون فى حالات الخوارق . كانوا فى جولة .

برتا : ولماذا يعقدون جلساتهم فى القصر ؟ المحكمة ليست خالية ؟

الصياد الأول: يقولون يا كونتسة ، ان الجنيات يجب أن تحاكمن فوق ربوه !

الصياد الثانى: وعلى بعد من النهر » وبعد كل هذا عليهم ان يحذروا حتى لا يصلوا اليه زحفا على بطونهم . كما أن الفارس هو المدعى فى القضية .

هانز : نعم أنا أطالب بتوقيع العقوبة فى القضية ، منذ ستة شهور وأنا أنتظر ذلك .. اتركينا يا برتا .

برتا : هانز ، لا تقابل أوندين !

هانز : لن اقابل أوندين . ألا تسمعين ما يقولون .. سأقابل احدى الجنيات كائن محروم من الحياة البشرية ، من الصوت البشرى والذى لن يتعرف على .

برتا : هانز عندما كنت فتاة صغيرة كنت مغرمة

بنمس . كان هذا فى الخيال لم يكن له وجود . ولكننا كنا ننام معا . وكان عندنا أطفال . والى الآن عندما أمر بحديقة حيوان القصر أتوقف وأنا أرتعد أمــام قفص النمس . هو كذلك لا يذكرنى هو كذلك قد نسى اننى كنت أضع على رأســه الغطاء القرمزى وأنه أنقذنى من الأقزام العمالقة وان ابنتينا التوأمين چنفيتى وبرتلانج قد تزوجتا من ملك آسيا .

سأشــعر بخطيئتى اذا ذهبت لرؤيته فى يوم زفاف ..

احد الخدم : القضاه يا سيدى .

هــانز : لحظة يا برتا ، وبعدها نكون فى سلام .

ســـتار